

البناء

العمل الإذاعي القومي في ستينات القرن الماضي

3/3

اعتماد نظام المؤسسات

أبها السيدات والسادة:
في الحزب القومي الاجتماعي لا يمكن أن يتصل نظام الحركة التي تجسد العقيدة وتعمل لانتصارها عن جوهر هذه العقيدة ذاته. فالنظام الداخلي الذي تسير على قواعده الحركة وتتشط، منبثق من معاني هذه العقيدة المؤممة بالشعب وكرامة الإنسان. ولذلك كانت من أندر الحركات، ولعلها الحركة الوحيدة في هذا الجزء من العالم التي لا تعتمد على الأساس الشخصي في القيادة وممارسة العمل الحزبي، بل تعتمد المؤسسات ذات الصلاحيات الواضحة، وذات العمل المستمر المتكامل مهما تبدل الأشخاص. ومن هنا أن الحزب القومي الاجتماعي لم يتلاش بموت زعيمه، بل كان استشهاده سعادة، عاملاً من عوامل رسوخ العقيدة واستعرا لهب الإيمان ثم العمل المنظم، ضمن مؤسسات الحزب، لنصرة هذا الإيمان.

ولقد نشأ الحزب القومي الاجتماعي على أساس تعاقد حقوقي بين صاحب الدعوة إلى القومية الاجتماعية مؤسس الحزب وبين المقلبين على الدعوة. وهذا التعاقد الحقوقي هو الذي يحصل كل يوم بأداء المنتسب إلى الحزب قسم العضوية وهو الذي أسبقه الدستور القومي الاجتماعي بقسم مؤسس الحزب نفسه والتزامه مسؤولية الزعامة ضمن صلاحيات حددها الدستور، فجاءت زعامة سعادة

حقوقية ودستورية مفيدة بأحكام القوانين الدستورية التي حددت انتقال صلاحيات الزعيم إلى المؤسسات الحزبية وفق صلاحياتها التشريعية والتنفيذية. في نظام الحركة هيكلان من المؤسسات المترابطة ضمن هذا النظام المركزي التسلسلي. مؤسسات منتخبة لها سلطة التشريع ومؤسسات معينة لها سلطة التنفيذ. أما المؤسسات المنتخبة، ففي نظام الحزب أن يمارس العضو في المديرية وهي أصغر وحدة حزبية، لجنة تدعى لجنة المديرية. وفي المنفديات الجامعة لعدد من المديريات يقضي النظام بأن تنتخب لجان المديريات مجلس المنفذية الذي له صلاحيات التشريع في الشؤون المالية المحلية ودراسة أوضاع المنفعة وتقديم المقترحات والمشورة بشأنها. ثم نبلغ المجلس التشريعي الأرفع الذي يدعى المجلس الأعلى ينتخبه من نالوا لقب أمراء الحركة القومية الاجتماعية، وهو المسؤول عن دراسة مصالح الأمة العليا ووضع الخطوط العريضة لسياسة الحزب ومراقبة السلطة التنفيذية في حسن تنفيذ هذه السياسة وسن التشريع وتعديل الدستور الذي يمكن أن يتناول أي مادة منه إذا وافقت على ذلك أكثريه لثلي المجلس الأعلى.

والسعال الأعلى بدوره ينتخب كل عامين رئيس الحزب الذي يمارس السلطة التنفيذية، وهذا في مجال التنفيذ، يبدأ أسلوب التعيين، فيعين رئيس الحزب مساعديه عمداً للدخالية والخارجية والثقافة والإدارة والمال والاقتصاد والقضاء والدفاع، كما يعين المنفذين العامين على رأس كل منفذية عامة، وكل منفذ عام يختار مساعديه الذين يدعون نظاراً، كما يقترح على عمدة الدخالية تعيين المديرين على رأس كل مديرية وكل مدير يختار مساعديه في حقول الإذاعة والمعلم والتدريب الذين يعينهم المنفذ العام أو المرجع المختص وفق الدستور.

هذا النظام التسلسلي المركزي البديع الذي ضمن قيام الحزب على قاعدة المؤسسات، وضعه سعادته في حياته وطبقه في الحزب فنشأ القوميين الاجتماعيين على فضائل ممارسة حرية الاختيار داخل الحركة وتنشئة ما تزال فاعلة فيها حتى الآن. وهو كما يبدو أبعد الأنظمة عن الدكتاتورية التي يظن بعض المواطنين أنها من طبيعة الحزب انطلاقاً من الالتباس الناشئ عن جمع الزعيم في إبان حياته بين الصلاحيات التشريعية والتنفيذية باعتباره هو صاحب الدعوة ومؤسسها ومعلم الجيل الأقر على تعيين سياسيتها وخطتها ولا سيما في عهد الحركة الأولى. ولم يمنع ذلك سعادته من أن يشرف في حياته في تدريب القوميين على ممارسة العمل ضمن المؤسسات فأنشأ معقلها، وبين أنظمتها وصحح بنفسه أخطاء الممارسة حتى كتبت له الأيسار أن يتم رسالته ويختتمها بدمه فاستطاع أن يواجه الموت وهو يعلن قريح العين: «أنا موت لأخذ، أما حزبي فيباق».

وضمن مؤسسات الحزب يمارس القوميون فضائل الواجب والنظام، ويتمتعون كأعضاء بحق التعبير عن الراي باتم حرية في الاجتماعات النظامية وإبداء الراي في شؤون الحزب وخطله السياسية والاقتصادية، مباشرة المراجع الحزبية العليا أو بالتسلسل كما نصت المادة الخامسة من دستور الحزب. كما تمارس المؤسسات، بنوع أخص، فضيلة نقد الذات التي جعلها في تقييم مستمر لمواقف الحزب، وفي تنقية صادقة له من الضعف والتخالذ ومن الانحراف عن نظرة النهضة الأصلية مما يرافق عادة كل الحركات التاريخية الكبرى. وعن طريق ذلك، وضمن نطاق الدستور تبقى الحركة دائماً سليمة، في مفاهيمها ومناهجها وتصرفاتها مهما كان الشطط الذي قد يقع فيه بعض الأعضاء.

هذا هو حزبا، يساري، ثوري، رسولي

أبها السيدات والسادة:
هذا هو الحزب القومي الاجتماعي:
حزب اجتماعي من حيث ارتكازه على الإيمان باجتماعية الإنسان، رسولي من حيث إيمانه باجتماعية القيم.
مجتمعي من حيث حدود اهتمامه بالمجتمع لا بما وراءه الطبيعية.
قومي من حيث إيمانه بتعدد المجتمعات الإنسانية ووحدة المجتمع، لا شيوعي ولا عنصري عرقي، ولا طائفي مذهبي، ولا طبقي ولا إقطاعي ولا عنصري ولا عنصري.
ديمقراطي النزعة، مناصبي التعليم.
حزب طبيعي في تقدميته القوي.
مسؤول عن قضية الحرية في العالم، ملزم بحكم عقيدته بنصرة حريات الشعوب كلها التزامه إزاء حرية بلاده ذاتها وشعبه ذاته.
حزب يساري من حيث رفضه الأوضاع الراهنة البالية ومن حيث ثورته الشاملة المرتكزة على تحكيم العقل في الأخير.
فإنما الحزب القومي الاجتماعي هذا كله لأنه قبل كل شيء حزب عقلاني مهتد يقول فيلسوف المعرة: «كذب الظن لا إمام سوى العقل وشيراً في صحبه والعساء».

وحزب كهذا لا بد أن يكون حزب لبنان وحزب الأمة، لأن بلادنا كانت وما تزال وستبقى هي بلاد العقل، وإنها يدرك جوهر عقيدته لن يرتضي في لبنان باقل من قيام القلعة الأضع المشعة بانوارها على محيطها كله، قيام الدولة القومية الاجتماعية الأولى التي بها تستطيع هذه الأمة أن تنبأها العالم.

* رئيس لجنة تاريخ الحزب



الأساس يقول الحزب القومي الاجتماعي بعروية الأمة السورية، ويدعو في غايته التي نص عليها في تعاليمه إلى وجوب السعي إلى إنشاء الجبهة العربية القادرة على أن تكون سداً منيعاً ضد المطامع الأجنبية الاستعمارية وقوة يكون لها وزن كبير في إقرار المسائل السياسية الكبرى، مما يتضمن القول بالتعاون إلى أبعد الحدود البناءة، بل لا يتنازل عن اعتبار هذه الأمة هي المؤهلة لقيادة العالم العربي، دون أن يكون في ذلك أي جنوح نحو النظرية الدينية أو النظرية اللغوية أو النظرية العنصرية التي لا يصح القول بأمة عربية واحدة في العالم العربي كله من غير اعتمادها مجتمعة أو منفردة.

لكي يسان لبنان قلعة لا تمس

ويبقى بعد ذلك أبها السيدات والسادة أمر لبنان، والكبان اللبناني وموقف الحزب منهما. إن الذين لم يعرفوا عقيدة الحزب كما اجتهدت أن أعرضها هنا اليوم، على حقيقتها، والذين يقنون الحزب حركة سياسية مضمضة ويقفون على عناوين المبادئ في حرقية ألفاظها، قد يعذرون ولا ريب أن التمس عليهم حقيقة موقف الحزب من لبنان، فلم يتورعوا عن الشك في نواياهم الصحيحة بل لم يتورعوا عن الذهاب إلى حد اتهامه بخيانة لبنان.

ولكن الذين أتبع لهم أن يعلموا ويتحققوا من أن الحزب القومي الاجتماعي هو مدرسة عقلية عظيمة يندر أن يكون لها منيل في الشرق الأدنى - كما يقول السيد كمال جنبلاط - وأن مجرد الاطاحة بالكيانات الساسية أو مجرد ضم كيان سياسي إلى كيان سياسي آخر، سياسياً، لا يعني - في نظر الحزب - تحقق شيء من النهضة القومية الاجتماعية التي تسعى نظرة الحزب إلى تحقيقها في المجتمع الواحد- الذين أتبع لهم أن يعلموا هذا ويتحققوا منه مؤهلون لأن يدركوا حقيقة موقف الحزب من لبنان. فهذا الليل العظيم الذي شهد انبلاج فجر القومية الاجتماعية على يد رجل من ذرى لبنان الشم، وبغفل عقل خلأق من عقول لبنان، لا يمكن أن يجد في أبناء هذه الأفكار ومعتقداتها إلا مؤمنين به أشد الإيمان، حماة له أشداء يوم تهب عليه الانشقاقات من أي مكان. وإذا كنا نؤمن بأن القومية الاجتماعية هي الرسالة المنطلقة من لبنان إلى نفسه وإلى بيئته الطبيعية التي لا يستطيع عنها انفكاكاً في شؤون الحياة والمصير، كما أثبتت الأحداث، وإذا كان لبنان، بحكم ظروف تاريخية معينة، هو أكثر أجزاء هذه البيئة التي لضمان الفكر وصراع العقائد، فكيف لا يكون في عرف الحزب القومي الاجتماعي القلعة التي يجب أن تصمد وتحصن وتقوى لتتحم من نشر آثارها على كل ما يحيط بها؟ إنها القلعة التي شهدنا نجاح التجربة التاريخية العظيمة في هذه البلاد، تجربة الانقلاب العقلي الجديد الذي أمكن بواسطته تحقيق المعجزة، وعلى شمول هذا النجاح لكل أبناء لبنان يتوقف إلى حد بعيد، الأمل بارتقاء قيام عهد حضاري جديد لا في لبنان فحسب، بل في بيئته الطبيعية وفي العالم العربي كله.

هذه القلعة العريضة الغالية لا تصان أبها السيدات والسادة بالخوف أو الشعور بالنقص، ولا تصان بالانكماش الديني الذي لا يؤدي إلا إلى اضمحلال أصحابه الحثي في غمار الانفلاش الديني المعاكس، ولا يمكن أن تصان هذه القلعة بالاعتماد الذليل على القوى المدفوع عن كيان كريمة في مهب الرياح. وإنما تصان هذه القلعة بانتشار الفكر القومي الاجتماعي الفطسي الموحد بين أبنائها، المحرر نفوسهم، المطلق عزائمهم في كل انشراح ومجبة نحو بناء الدولة الراقية الحديثة النموذجية المنشودة، فلا ميثاق يدعى وطنياً ويكرس الانشقاق ولا مناصفة دينية ولا إحصاء مذهبية ولا رئاسات تتبادله الطوائف مداورة ولا هجرة ولا إقطاع ولا طبقة ولا أثنائات، بل مواطنة صادقة يتساوى فيها الجميع في وحدة الحياة وفي حقوق المواطنة وواجباتها.

لأن الحزب القومي الاجتماعي يدرك جوهر عقيدته أبها السيدات والسادة، يحصر كل الحرص على لبنان، ويفتديه كما قامت الشواهد أكثرَأن أكثر من مرة بالزكي من دماء شهدائه الأبرار. لأنه يدرك جوهر عقيدته لن يرتضي في لبنان باقل من قيام القلعة الأضع المشعة بانوارها على محيطها كله، قيام الدولة القومية الاجتماعية الأولى التي بها تستطيع هذه الأمة أن تنبأها العالم.

التي شهدت هذه البلاد انبثاقها من أزوع ذرى لبنان التي العقيدة التي لا تتصلب في النزعة القومية عن جوهرها الإنساني، فهي لذلك القومية الإيجابية المحبة للبناء المنفتحة على كل الثقافات انفتاحها على معنى حرية الامم وتعاون الشعوب في ميدان تطعيمها على يد الاستعمار أياً كان لونه إلا تطعيم معنى الإنسان. وهي إذن - أي القومية الاجتماعية - عقيدة على مستوى العصر بما تقدم من إيديولوجية جديدة تحمل كل العلل الجزئية لمظاهر تخلف الشعوب عامة ولمشاكل كل الأقطار بعضها ببعض في دفع صادق للإنسانية نحو تشييد صرح الحضارة الشامخ.

أبها السيدات والسادة:
لئن كان سعادته قد انتهى إلى أن البيئة الطبيعية التي نشأت فيها أممنا هي هذه البقعة من الأرض التي يعبر عنها بلفظ عام الهلال الخصيب وهي ذات حدود تميزها عن سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال الغربي وجبال البختيار في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر الأبيض في الغرب شاملة جزيرة قبرص إلى قوس الصحراء العربية وخليج العجم في الشرق....

لئن كان سعادته قد انتهى في البحث عن هوية القومية الاجتماعية، وفي تعيين البيئة الطبيعية التي فيها انصهرت وامتزجت وتكونت في وحدة حياة شاملة مستمرة على تعاقب الأجيال وإن عرفت بعض الانقطاع بفعل عوامل طارئة غير أصيلة، ولئن ظهر أن هذه البيئة هي ما يدعى بالهلال الخصيب أو ما سماه مؤسس الحزب الوطن السوري انطلاقاً من التسمية التاريخية المعروفة لهذه البيئة، سوريا، ثم عرفت النظر القومية الاجتماعية الذي دعا إليها سعادته ويقول بها الحزب بالقومية السورية، فإنما قال بذلك نتيجة دراسات مستفيضة دقيقة، اجتماعية وتوغرافية وتاريخية وإثنية توفر عليها السنين الطوال بصير العالم المنكب وصدق الباحث الناقد في محاولة اكتشاف الحقيقة المجردة واستنباطها من بين ركام الخرافات المبهرة والمحاولات الميسرة والتواريخ المكتوبة تواريخ هذه البلاد، ومعظمها لا يخلو من الغرض والتشويه العفويين أو المقصودين، وظاهر من تجديد هذه البيئة أن سعادته لم يتسوح فيها خططا سياسية معينة داخلية أو خارجية، ولا أكثر بالأوضاع السياسية القائمة التي قد لا تتفق مع هذا التحديد، لأنه لم يشأ أن يقيم موقفه على الأساس السياسي المحض، بل على الأساس العملي المنبثق عن العمل والمنطق ووقائع الطبيعة والتاريخ والبحث العلمي المجرد، المنتمى محبة، في سعيه وراء الحقيقة.

لبيت المجال متسع الآن للسيدات والسادة لعرض الأدلة والبيانات العلمية على صحة مبدأ الحزب لجهة تعيينه حدود البيئة الطبيعية التي نشأ فيها مجتمعنا وتكون وتطور وتعيينه وبالتالي لخلق هوية الأمة التي إليها ننتمى. إن هذه البيئات مفصلة في شروح الزعيم للتعليم، ولا سيما في كتاب «المحاضرات العشر»، ولكن ما لا بد من التحذير منه هو الخلط بين حقيقة المضمون الذي يات يعبر عنه اسم هذه البيئة التاريخي، سوريا، من زاوية النظر القومية الاجتماعية، وبين الانتباسات الكثيرة التي يمكن أن تنشأ عن اقتراح هذه الإسـم بجزء من البيئة دون سواه هو الجمهورية السورية، أو بتصرفات قد تصدر عن هذا أو ذاك من كيانات الأمة السياسية إزاء بعضها، أو عن هؤلاء أو أولئك من أبناء البيئة الطبيعية الواحدة في مختلف أرجائها.

ولا بد من الاعتراف بأن هذه الانتباسات قد عقدت مهمة الدعوة العقائدية القومية الاجتماعية في الشعب ولا سيما لدى الذين يتكفون من دراسة الحزب بالفاظ المبادئ دون التنصر في النظرة الاساسية الكلية التي منها انبثقت المبادئ انبثاق النتيجة من المقدمة.

عروبنا تعاون بناء

يبقى أبها السيدات والسادة أن القول بوحدة الأمة في البيئة الطبيعية المحددة لا يلغي النقاء هذه الأمة مع أمم العالم العربي في رابطة العروبة الحقيقية التي هي رابطة مجتمعات متعددة مختلفة الشخصيات والحضارات متشعبة المصالح لا رابطة مجتمع واحد في بيئة طبيعية واحدة. وعلى هذا

لييب ناصيف*

يتابع محمد بعلبكي محاضراته حول الفكر القومي في جامعة اليسوعية:

هذا المفهوم للأمة، على أنها حاصل وحدة حياة الجماعة المادية والروحية في بيئة طبيعية مميزة عبر أجيال متطاولة، يؤدي إلى رفض العرقية في تعيين الأمة لأنه يأخذ بنظرية، بل بواقع المزيج السلافي والحياتي ضمن البيئة، وهو أيضا يؤدي إلى رفض «اللغوية» إذا صح التعبير في تعيين الأمة لأنه يأخذ بان الأصل هو فكر الإنسان - المجتمع، فكر الأمة، المعبر عنه بواسطة اللغة، لا اللغة بحد ذاتها. مهما بلغ تفاعل الفكر مع اللغة وارتباطهما، تبقى الأهمية لفاعلية فكر الأمة في اللغة، من حيث قواعده ونهجه، مضمونه وتناجه، ومن حيث تعبيره عن خطوط الأمة النفسية والحضارية.

ثم إن هذا المفهوم للأمة، يؤدي إلى رفض الطبقة والإقطاعية ما دامت وحدة المجتمع هي الأصل، وإلى تبني مبدأ تنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج وإنصاف العمل، على أنه المبدأ الكفيل بإيجاد التوازن السليم بين توزيع العمل وتوزيع الثروة. كل عضو في المجتمع أو في الدولة يجب أن يكون منتجا بطريقة من الطرق. وفي حالة من هذا النوع يتوجب تصنيف الإنتاج والمنجيين بحيث يمكن ضبط التعاون والإشراك في العمل على أوسع قياس ممكن وضبط نوال النصيب العادل من الناتج وتأمين الحق في العمل والحق في نصيبه. وبذلك يوضع حد للتصرف الفردي المطلق في العمل والإنتاج الذي يجب أن يضرباً اجتماعية كبيرة، دون أن يكون فيه حد من جهد الفرد المبدول لرفع مستوى الإنتاج القومي.

لأنه ما من عمل أو إنتاج في المجتمع إلا وهو عمل أو إنتاج مشترك أو تعاوني، فإذا ترك للفرد الإنساني حرية مطلقة في التصرف بالعمل والإنتاج كان لا بد من وقوع إجحاف بحق العمل وكثير من العمال. إن ثروة الأمة العامة يجب أن تخضع لمصلحة الأمة العامة وضبط الدولة القومية، والرأس المال الذي هو ضمان استمرار الإنتاج وزيادته هو بالتالي أو بما أنه حاصل الإنتاج، ملك قومي عام مبدئياً وإن كان الأفراد يقومون على تصريف شؤونهم بصفة مؤتمنين عليه وتستخير للإنتاج. ويهدأ تؤمن الأمة نهضتها الاقتصادية وتحسين حياة ملايين العمال والفلاحين وزيادة الثروة العامة وقوة الدولة.»

من هنا أن الحزب القومي الاجتماعي يرفض في الاقتصاد النظرة الماركسية القائمة على تعليل التاريخ تحليلاً مادياً مضمناً ينكر ما للجانب العقلي والنفسي والقيافي، أي ما للجانب الروحي من نصيب في وحدة الحياة التي تشترك فيها أمة من الأمم ضمن بيئتها الطبيعية كما ترفض النظر بالتالي، إلى واقع الإنسانية على أنه واقع طبقات مادية تتلقى النضج المعاكس والتقاء الأسياد في مختلف أنحاء المعمورة، فتفتضح المبدأ القومي وتزرق الأمة وتهدم طبقة لتقيم محلها طبقة أخرى. وإذا كانت الماركسية يسارية من حيث تقضيها للأوضاع الاقتصادية المتبعة فإنما يسارياتها في الاقتصاد هي يسارية القومية الاجتماعية المنفضة على الوضع الاقتصادي البالي الضامنة للإنسان ضمن المجتمع الواحد المنسجم المتفاعل، وكرامته وحقه في الثروة بمقدار نصيبه من الإنتاج. ففي الأمة الواحدة في المجتمع القومي لا استبعاد ولا استعمار ولا استغلال، بل كرامة وإحترام، وفرح بالمشاركة في انماء الثروة العامة والإشراك بالمنتج بقواد هذه الثروة في مجال النشوء والازدهار والقوة تسهياً لأداء رسالة الأمة المنيرة إلى العالم وإنعاش سهمها التاريخي في الحضارة الإنسانية المتألقة.

وكما يؤدي مفهوم العقيدة للأمة إلى رفض العرقية واللغوية والطبقية والإقطاعية، يؤدي أيضا إلى رفض الطائفية الدينية السياسية المزمقة للأمة كوحدة حياة، أضف إلى ذلك أن عقيدة الحزب من حيث هي نظرة اجتماعية إنما تتناول الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي فقط، وتلزم نفسها بالوقوف عند هذا الحد دون تخطيه إلى ما هو وراء الاجتماع. أنها تتبدى في المجتمع وتنتهي فيه، وكل ما هو خارج نطاق حياة المجتمع وشؤونه ليس من اختصاصها ولذلك كانت حرية الإيمان في شؤون ما وراء الطبيعة مضمونة في الحزب القومي الاجتماعي، ما دامت القضايا الميتافيزيقية والتيلوجية خارج محور العقيدة كليا لأحبت يجعل المثلث المعقل المعامل المختلفة هذه القضايا تتدخل مباشرة في حياة المجتمع من الوجهة الميتافيزيقية السياسية، فليس لعقيدة الحزب ما تقوله حول ماهية الخلق والعالم الآخر ومصير الروح وما شاكلها من القضايا التي هي في صميمها جزء من حياة الإنسان الدخالية التي يجابهها برهية وخشوع في جامعه أو كنيسته أو في غرفته أمام ربه.

وبذلك أمكن أن يتبرص في الحركة مواطنون من مختلف المذاهب والأديان، مع حرص كل منهم على حرته في ممارسة إيمانه الديني الخاص، من غير أن يحول ذلك دون اجتماعهم على مبدأ فصل الدين عن الدولة ومنع رجال الدين من التدخل في شؤون المجتمع السياسية والقضائية القومية التي هي من اختصاص الدولة المدنية وحدها. ولا أنهم اختاروا أن يرتفعوا برسالة الدين الحقيقي من الحضيض الطائفي الذي أوصلتها إليه قرون من الانحطاط والتدخل الأجنبي وأن يعيدوها إلى مكانها اللائق.

بذلك أبها السيدات والسادة أمكن ضمن صفوف الحزب القضاء على دعا الطائفية الويلل الناهش ووحدة المجتمع بغير حقوقه وإهدافه وقضيته الحقيقية، الكايح جماع نهضة لبناء الدولة الراقية المثلى. بذلك أبها السيدات والسادة أمكن أن تتحقق المعجزة:

... المعجزة التي تحققت بامتلاء نفوس القوميين الاجتماعيين، عن طريق الإيمان بهذه النظرة العلمية للأمة ككائن اجتماعي حي، لا عن طريق الشعارات والنصوص الجوفاء، امتلاء نفوس القوميين الاجتماعيين بالولاء الأشمل والأسمي هو الولاء للأمة بشخصيتها القومية الواضحة وبتراث المجتمع القومي بارض الوطن وبربته وبتراثات القومي الأثرخ بالأمجاد والمتطلع إلى مزيد من الظفر في مشارف المستقبل.

أبها السيدات والسادة:

إن النظرة القومية الاجتماعية إلى الواقع الإنساني ومعالجة مشاكل هذا الواقع على ضوءها، لا يمكن أن تقارن أو تشبه بالزعات القومية التي شهدتها القرن التاسع عشر ويقال اليوم إن مشاكل العصر قد تجاوزتها. فإذا كانت لحمة هذه القوميات وسدما العنصر والدم، أو الكبرياء والغرور، وغايتها الفتح وبسط السلطان واستعباد الشعوب الأخرى بالقوة واستثمارها لمصلحتها، وإذا كان الإنسان الحديث الذي ذاق ويلات الحقد والضغينة الكامنة وراء هذه القوميات المنهارة قد انتهى إلى نبذها والبحث عن إيديولوجية جديدة منقذة، فإن القومية الاجتماعية

الكبير المصري

ثلاثة أعمال لإبراهيم أصلان تنشر بعد رحيله

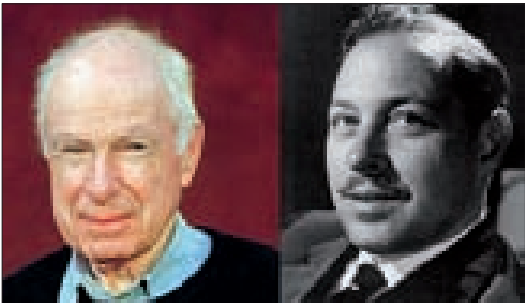


قبل وفاته بقليل أنجز الكاتب المصري الكبير إبراهيم أصلان أعمالاً لم تر النور بعد. يقول ابنه الكاتب هشام أصلان: «كانت لديه رواية نُشرت مسلسلة في «الأهرام» تحت عنوان «صديق قديم»، لكنه لم يبدأ نشرها باعتبارها رواية. كان يكتب مشاهد أسبوعاً بأسبوع. مشاهد أدبية. إذا أنه لم يكن يحب كتابة المقالات الصحافية التقليدية، بل يمكن القول إنه كان يكرهها ولا يبرع فيها. وكان كل همه أن يكتب مقاطع أدبية في جميع الأقسام الصحافية التي نشر فيها. وهذه الأعمال الفنية كانت نواة لبعض أعماله ومنها «خولة الغليان». انتهى منها أصلان قبل رحيله بقليل، ولم يتخذ قراراً بنشرها، والمخطوطة موجودة في حوزتي أنا وأخي شادي، وهناك كتاب أيضاً أنجزه عن الثورة عنوانه «انطباعات صغيرة حول حادث كبير»، ولم يكن يقصد أيضاً أن يصدر في كتاب حينما كان ينشر نصوصه في جميع الأقسام منفردة، وكان يكتب انطباعاته عن الحوادث الجارية، ليس من منظور سياسي، بل من منظور إنساني، وبطريقته الأدبية، وما يحضرنه على سبيل المثال قصة السيدة البسيطة التي خرجت لتلتطف الدباية».

هناك أيضاً كتاب ثالث عنوانه «تمارين في الابتسام» ولكنه ويا الأسف ضاع منه قبل رحيله. ضاع الأصل من الكتيب، لكن لحسن الحظ أن نصوصه يمكن تجميعها، مع أن ذلك سيكون صعباً وقد لا يحدث ثمة في المئة، وهناك اقتراح من الصديق الدكتور محمد بدوي بذلك. «الكتابان الأول والثاني جاهزان للنشر، لكنني أتصور أنه لا بد من أن يقوم أحد بمرآجعتهما، مثل بدوي، إذ لم تتح الفرصة لإبراهيم أصلان أن يفعل ذلك، فلما كان يفعل مرارا وتكراراً مع أعماله قبل صدورها، مع كتابة اسم من سبقوم بذلك في تنويبه، أو في تصدير للكتاب».

هل رحل أصلان وهو يشعر بأن هناك شيئاً لم يحققه بعد؟ يجيب هشام: «في رأبي الشخصي أنه لم يرحل ونفسه في حاجة، فعلى المستوى الإنساني أستطيع أن يؤمن تماماً مستقبل أسرته، وأنه القلق الذي كان مصاباً به حول هذا الأمر، ولم يكن من الكتاب الذين أهدى قلمهم. هو نفسه لم يكن يشعر بالظلم أو أنه لم يأخذ حقه. توفي وهو في أقصى آيات التحقق التي يمكن لكاتب أن يصل إليها في مجتمعاتنا العربية. ورحيله، رغم فقد وما خلفه من ألم، كان لاقاً تماماً. رحيله يشبهه، كان جالساً على كرسيه الهزاز واضعاً ساقا فوق الأخرى».

متحان بريطانيان يقتنيان مراسلات وليامز وبروك



وليامز

...وبروك

ابتاع متحف فكتوريا والبرت في لندن مجموعة أوراق شخصية للمصري البريطاني بيتر بروك، ضمنها رسائل يمينه وبين الكاتب المسرحي الأميركي تينيسي وليامز الذي يناشده في إحدى الرسائل أن تقدم «قطة على سطح صفيح ساخن» مثلما فعلت من دون تحريف. وأعلن المنفذ أن صندوق التراث قدم مساهمة مالية قدرها 690 ألف جنيه استرليني، وإن مانحاً مساهم بمبلغ طلب الأيكشفيد لو أن هنويته لشراء أرشيف بروك في متحف إيليا كازان. وكنت بروك إلى وليامز عام 1956 كاشفاً أنه يتضمن أوراق بروك الشخصية وبيانات وصورا فوتوغرافية وملاحظات عن بروفات وسودات نصوص مسرحية ومراسلات تمتد أكثر من 60 عاما مع عائلة مسرحيين مثل جي. بي. بريستلي ولورنس أوليفيه وصامويل بيكيت.

تكشف الرسائل لمقابلة بين وليامز وبروك عام 1956 شعور الكاتب المصري الأميركي بالإحباط بعدما أعيدت كتابة المشهد الثالث من «قطة على سطح صفيح ساخن» للعرض الأول في برودواي عام 1955، بإلحاح من المخرج المسرحي والسينمائي الكبير إيليا كازان. وكنت بروك إلى وليامز عام 1956 كاشفاً أنه تلقى عرضاً لإخراج المسرحية منشراً إلى أن مسرحية «عربة اسمها اللغة»، عرضت بالفرنسية قبل أن يتمكن هو من إخراجها بالإنجليزية. وكنت بروك «أنا مشغوق وسعيد لأنني كنت أتطلع دائماً إلى إخراج إحدى مسرحياتك وسأبذل كل ما في وسعي لإخراجها على أفضل شكل». وطلب بروك في المقابل أن يكتب له وليامز ما يحطر له من «فكرات وتعليقات وخواطر ورود أفعال وانتقادات خطرت ببالك في ما يتعلق بانتاج المسرحية في نيويورك واداء المسرحية عامة والشخوص والخلفية وما إلى ذلك». وفرح وليامز بما قاله بروك فرد قائلاً: «كنت أرغب دوماً في مشاهدة إحدى مسرحياتي من إخراجك وسأفعل كل شيء جانياً وأرغب طائرة لمشاهدتها لو قدمت المشهد الثالث مثلما صورته وكنته، ولكن لا جدوى من مشاهدتها مرة أخرى بالشكل الذي يفتقر إلى الإمامة الرفيعة التي أعتقد أنها فضيلة المسرحية الرئيسية».

تلفت صحفية «الغارديان» عن بروك (89 عاماً) الذي ما برح ناشطاً مسرحياً أنه مغتبط بأن يكون مأل أوراقه الشخصية في متحف فكتوريا والبرت حيث «ستوضع في متناول الطلاب والباحثين والمسرحيين والجمهور المسرحي». مشدداً على أهمية أن تكون أوراقه متاحة للأجيال المقبلة من المسرحيين. توفي أوراق بروك الشخصية مادة غنية للباحثين، بما فيها رسائل من فيفيان إلى وتيد هيزن وهارولد بنتر وآخرين. كما يتضمن أرشيف بروك أوراقاً توفق إخراج أعمال بينها تقديم دار الأوبرا الملكية مسرحية «سالمو» للكاتب أوسكار وايلد وتصميم مشاهير دالي للديكور المسرحي عام 1949 وفيلم «سيد الأدياب» المقتبس من رواية وليام غولدونغ عام 1963 ومسرحية شكسبير «علم منتصف الليل صيف» عام 1970. وقالت كاتبت دورتي مديرية متحف المسرح والفنون الأدائية في متحف فكتوريا والبرت أن هناك في أرشيف بروك نحو 3000 رسالة، فضلاً عن دفاتر وملاحظات ودفاتر تخطيطات وبرامج مسرحية. وأكدت دورتي «أن لعمل بيتر بروك تأثيراً كبيراً في الثقافة البريطانية ونحن سعداء باختيار متحف فكتوريا والبرت لاقتناء هذه المجموعة الرائعة من الوثائق الشخصية».